المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651
العدد الثالث والعشرون/ شباط 2024

وسائل الحفاظ على الإيمان

الباحث: عبد القادر شاكر محمود المشهداني

باحث في مرحلة الدكتوراه في جامعة الجنان باختصاص التفسير وعلوم القرآن

الملخّص

إنَّ تقوية الإيمان تحتاج إلى وسائل كثيرة للحفاظ عليها؛ لأنَّ ضعف الإيمان مرض يصيب القلوب المؤمنة، وهو من أخطر أمراضها، لما ينشأ عنه من الوقوع في المعاصي، والتهاون في الفرائض والواجبات، وقسوة القلب، والغفلة عن ذكر الله تعالى، إلى غير ذلك من الأمراض، ولا طريق للنجاة من هذا المرض إلاّ بالسعي والتمسك بوسائل الحفاظ على الإيمان، وهي كثيرة، منها:

الاستقامة على الإيمان بالله، والتمسك بدين الإسلام، واتباع الرسول ﷺ وإطاعته، من أهم الأسباب والوسائل لحفظ الإيمان.

وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله؛ لأنه كبيرة من كبائر الذنوب، وصفة من صفات أهل الضلال والكفر؛ فلا ييأسُ من رحمة الله إلاّ القوم الكافرون.

والصبر على الطاعة؛ لأنَّ الطاعات فيها صعوبات، ومشاقّ مستمرة، تحتاج إلى صبر عظيم عند أدائها، ولا يبلغ الهدف إلّا من صبر عليها.

واختيار الصحبة الصالحة، والابتعاد عن رفقاء السوء؛ لأنَّ الاختلاط برفقاء السوء وأهل الفسق والفجور من الأسباب التي تورث قسوة القلب.

أولاً – الاستقامة على دين الله

الفرع الأول: تعريف الاستقامة في اللغة والشرع

الاستقامة في اللغة: تطلق على عدة معان، منها:

1. الالتزام والاعتناق والالتصاق، قال ابن منظور: "الالتزامُ: الاعتناق"[1].
2. الفرض و الإيجاب, يُقالُ: التزمَ الشَّيءَ أي أوجبهُ على نفسه[2].
3. المداومة والمواظبة على الشيء أو المصاحبة له, يُقال: لزمَ الشَّيءَ يَلزمُهُ لَزْماً ولُزوماً, ولازَمهُ ملازمةً, ولِزاماً والتزمه, وألزمهُ إياه فالتَزمهُ, ورجل لُزَمَة: يلزمُ الشَّيءَ فلا يفارقه[3].

والاستقامة في الشرع: هي سلوك الصراط المستقيم، وهي الدين القويم من غير تعويج عنه يُمْنة ولا يُسْرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك[4].

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لزم): 542/12.
[2] مصطفى، إبراهيم، دار الدعوة، **المعجم الوسيط**: 823/2.
[3] المصدر السابق، مادة (لزم): 541/12.
[4] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**: 510/1.

ISSN: 2709-5312

قال القرطبي: "الاستقامة: هي الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال، فاستقم على امتثال أمر الله"[5].

وقد عرفها الجرجاني بأنَّها: "الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط المستقيم في الآخرة"[6].

وعرَّفها ابن قيم الجوزية وقال: "الاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين كله، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات؛ فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله، وعلى أمر الله[7].

وعرَّفها ابن علان[8] وقال: "الاستقامة المطلوبة الممدوحة بالكتاب والسنة لزوم طاعة الله تعالى ويلزم من ذلك ترك منهياته، وهي من جوامع الكلم أن يكون اللفظ قليلاً والمعنى جزيلاً"[9].

---

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**: 107/9.
[6] الجرجاني، **التعريفات**، ص: 19.
[7] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: 106/2.
[8] هو: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، مفسر محدث، له عدة مؤلفات، منها: (ضياء السبيل الى معالم التنزيل) في التفسير و (اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل) في النحو، توفي سنة (1057هـ). ينظر: الحموي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: 184/4-189، وكحالة، **معجم المؤلفين**: 54/11-55.
[9] البكري، **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**: 292/2.

والذي يبدو لي أنَّ الاستقامة تعني الاستقامة والثبات على دين الإسلام وعدم الانحراف عنه، والتمسك على طاعة الله تعالى، واجتناب نواهيه.

الفرع الثاني: فضل الاستقامة

وردت الاستقامة في القرآن الكريم كثيراً، حيث قد ذكر الله تعالى فضل الاستقامة، وبيَّن أنها سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿13﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿14﴾** [10].

بيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ الذين استقاموا على الإيمان والتوحيد فلم يخلطوه بشرك، فلا يلحقهم مكروهٌ يخافون منه من فزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد موتهم، أولئك المؤمنون هم أهل الجنة ماكثين فيها أبداً، جزاءً لهم على أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها[11].

وقد أثنى الله تعالى على أهل الاستقامة، ووعدهم بالأجر الكثير، قال تعالى: **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ (30)نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ (32)** [12].

---

[10] سورة الأحقاف، الآيتان: 13-14.
[11] ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**: 111/22.
[12] سورة فصلت، الآيات: 30-32.

وهذه الآية الكريمة تبين أنَّ الذين استقاموا على توحيد الله وطاعته ولم يشركوا بالله شيئاً، وثبتوا على ذلك حتى الموت، تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت بأن لا تخافوا ممَّا تقدمون عليه من أحوال القيامة، ولا تحزنوا على أولادكم، فإنَّ الله خليفتكم عليهم، وأبشروا بجنة الخلد التي وعدكم الله بها على لسان الرسل. وهذه البشرى في ثلاثة مواضع عند الموت وفي القبر وعند البعث. وتقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة: نحن أنصاركم وأعوانكم في الدنيا والآخرة لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة، ولكم في الجنة ما تشتهيه نفوسكم، وتقرُّ به عيونُكم من أنواع الملذات، ولكم فيها ما تسألون وتتمنون، رزقاً وضيافةً من الله الغفور الرحيم لعباده المتقين[13].

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ ومن تبعه من المؤمنين بالاستقامة، كما قال تعالى:﴿ **فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ** (112)﴾[14]، قال ابن عباس (رضى الله عنهما) في هذه الآية الكريمة: "ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشدُّ ولا أشقُّ عليه من هذه الآية"[15].

---

(13) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**: 359/15.
(14) سورة هود، الآية: 112.
(15) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير – السعودية -، ط1، 2015: 463/14-464، والرازي، **التفسير الكبير**: 406/18، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**: 107/9.

وقال ابن كثير[16] في تفسير الآية: "يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان، وهو البغي، فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك"[17].

وفي السنة النبوية أمر النبيُّ ﷺ المؤمنين بالاستقامة فعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلتُ يا رسولَ الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً بعدك – وفي رواية – غيرك، قال: ((قُلْ آمنتُ بالله ثمَّ استقم))[18].

فهذا الحديث الشريف من جوامع كلمه ﷺ فقد بيَّن أنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الإيمان ووحدوا الله، فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك، فهؤلاء يجزيهم الله تعالى جزاءً وافراً في يوم القيامة[19].

وسئل النبيُّ ﷺ أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: ((أَدْومها وإن قلَّ))[20].

---

[16] هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الفداء الدمشقي، مفسر، ومحدث فاضل، له عدة مؤلفات، منها (تفسير القرآن العظيم)، و (البداية والنهاية)، وغيرهما، توفي سنة (774هـ). ينظر: ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر**: 1/39-40، والداودي، **طبقات المفسرين**: 1/111-113.

[17] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: 4/354.

[18] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام: 1/38-39، رقم الحديث (38).

[19] ينظر: النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: 2/9.

[20] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، عن عائشة - رضي الله عنها - كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل، ص: 1609، رقم الحديث (6465)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره: 1/354، رقم الحديث (783).

وهذا الحديث الشريف يفيد إلى أنَّ المداومة على عمل من أعمال البرِّ ولو كان مفضولاً أحبُّ إلى الله من عمل يكون أعظم أجراً لكن ليس فيه مداومة[21].

ثانياً – عدم اليأس والقنوط من رحمة الله

من إحدى الوسائل لحفظ الإيمان هي عدم الياس والقنوط من رحمة الله تعالى، فما هو تعريف اليأس والقنوط في اللغة والاصطلاح؟ وهل هناك فرق بينهما وبين الخيبة؟ وهل وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في نهيهما؟ وما هو حكمهما؟ وما هي الأسباب التي تؤدي لليأس والقنوط، وما هو العلاج عندما يتعرض الإنسان بهما؟، وهل لليأس والقنوط أضرار في إيمان الإنسان المسلم؟

معنى اليأس لغةً:

اليأْس: القنوط لغةً: وقيل: اليأْسُ ضدُّ الرجاء أو قطع الأمل، يئسَ من الشيء ييأسُ ويِيئس؛ والمصدر اليأْس واليآسة واليأَس، وقد استيأسَ وأيأسته وإنه لييائس ويِيئس ويِيؤوس ويَؤُس، والجمع يُؤُوس[22].

معنى اليأْس اصطلاحًا:

[21] ينظر: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: 298/11.

[22] ينظر: ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحســن، **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ، ط1، 1987م، مادة (يَأسَ): 238/1، وابن منظور، **لســان العرب**، مادة (يَأسَ): 260-259/6، والفيروز آبادي، محمد ابن يعقوب، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، مادة (يَأسَ)، ص: 582.

قال ابن الجوزي[23]: "اليأْسُ: القطع على أنَّ المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته"[24].

وقيل: "اليأْسُ: انقطاع الطمع من الشيء"[25].

معنى القنوط لغةً:

هذه المادة أصلها تدل على الْيَأْسِ مِن الشَّيْءِ، فالقُنُوط: اليأْس، وقيل: أَشدُّ اليأْس من الشَّيْءِ. مصدر قَنَط يَقنِطُ (من باب ضرب) ويَقنُطُ (من باب قعد)، وقَنِطَ يقنَط (من باب تعب)، وهو قانِطٌ وقَنُوط وقنِط[26].

---

[23] هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج الجوزي، عالم جليل، له عدة مؤلفات في التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك، منها: (زاد المسير في علم التفسير)، و (تذكرة الأريب)، وغيرهما، توفي سنة (597هـ). ينظر: السيوطي، **طبقات المفسرين العشرين**، ص: 61، والداودي، **طبقات المفسرين**: 275/1-279.

[24] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – بيروت -، ط1، 1984م، ص: 633.

[25] ينظر: العسكري، **الفروق اللغوية**، ص: 245.

[26] ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (قنط): 32/5، وابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قنط): 386/7، والفيومي، أحمد ابن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية – بيروت -، مادة (قنط): 517/2.

قال ابن الأثير: "القنوط هو أشدّ اليأس من الشّيء. وقيل القنوط: اليأس من الخير، وقيل: أشدّ اليأس من الشّيء وقيل: شرُّ النّاس الذين يقنّطون النّاس من رحمة الله أي يؤيّسونهم"[27].**معنى القنوط اصطلاحًا:** قال المناويّ والشوكاني[28]: "القنوط: هو اليأس من الرّحمة"[29].

الفرق بين اليأس والقنوط والخيبة:

ذهب أكثر العلماء على أنهما بمعنى واحد[30]. ويرى بعض العلماء أنَّ بينهما اختلافًا، وأنَّ القنوط: أتمُّ

اليأس وأشده[31]. وقيل: إنَّ اليأس من منعات القلب، والقنوط ظهور آثاره على ظاهر البدن[32].

والفرق بين اليأْس والخيبة:

1. الخيبة لا تكون إلاّ بعد أمل، لأنها امتناع نيل ما أمل.

---

[27] ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مادة (قنط): 113/4.

[28] هو: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، مفسر، وفقيه فاضل من كبار علماء اليمن، له عدة مؤلفات، منها: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) في التفسير، (ونيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار) في الفقه، وغيرهما، توفي سنة (1250هـ). ينظر: الزركلي، **الأعلام**: 298/6، وكحالة، **معجم المؤلفين**: 53/11.

[29] المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص: 275، والشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار ابن كثير – دمشق -، ط1، 1414هـ: 260/4.

[30] ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**: 102/20، والزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**: 181/3.

[31] ينظر: النحاس، أحمد بن محمد، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة -، ط1، 1409هـ: 314/6، وابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: 363/3.

[32] ينظر: درويش، محيى الدين بن أحمد، ، **إعراب القرآن وبيانه**، دار الإرشاد للشئون الجامعية – سورية -، ط4، 1415هـ: 9/5-6.

2. اليأس: قد يكون قبل الأمل، وقد يكون بعده[33].

حكم اليأس والقنوط

أجمع العلماء على تحريم اليأس والقنوط، وجعلهما من الكبائر، بعد الشرك بالله تعالى. قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما –: "الكبائر أربع: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله"[34]. وقال ابن حجر الهيتمي[35]: سوء الظّنّ بالله تعالى والقنوط من رحمته من الكبائر، مستدلاً بقوله تعالى: **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيَ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** (36) [36]، ... والقنوط أبلغ من اليأس، للتّرقّي إليه في قوله تعالى: **لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿49﴾** [37]، وقد اتّفقوا على أنَّ الشّخص الذي يئس من وقوع شيء من الرّحمة له مع إسلامه، فاليأس في حقّه كبيرة اتّفاقاً، ثمّ هذا اليأس قد ينضمّ إليه حالة هي أشدّ منه، وهي التّصميم على عدم وقوع الرّحمة له وهو القنوط، ثمّ قد ينضمّ إلى ذلك أنَّ الله يشدّد عقابه له كالكفّار وهذا هو المراد بسوء الظّنّ هنا"[38].

---

[33] ينظر: العسكري، **الفروق اللغوية**، ص: 245، والماوردي، **النكت والعيون**: 422/1.

[34] أخرجه الطبراني، **المعجم الكبير**: 156/9، برقم (8783)، والبيهقي، **شعب الإيمان**: 340/2، برقم (1019).

[35] هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأنصاري الشافعي المصري المكي، عالم جليل، وفقيه مشارك في أنواع من العلوم، صاحب المصنفات الكثيرة منها: (تحفة المحتاج في شرح المنهاج)، و (الصواعق المحرقة)، وغيرهما، توفي في مكة سنة (973 أو 974هـ). ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**: 370/8ـــــ371، والشوكاني، **البدر الطالع**: 140/1، والزركلي، **الأعلام**: 234/1.

[36] سورة الحجر، الآية: 56.

[37] سورة فصلت، الآية: 49.

[38] ابن حجر، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، دار الفكر – بيروت -، ط1، 1987م: 150/1.

واليأْس ليس مذموماً في كل الحالات، وهناك حالات قد يحمد فيها، ومنها:

1. اليأْس مما في أيدي الناس: يجب على الإنسان المسلم أن يستغني مما في أيدي الناس ولا يطمع فيه، وكان عمر – رضي الله عنه – يقول في خطبته على المنبر: "إنَّ الطمع فقر، وإنَّ اليأْس غنى، وإنَّ الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه"[39].

واليأْس مما في أيدي الناس شرط لتحقيق الإخلاص، قال ابن قيم الجوزية: "لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلاّ كما يجتمع الماء والنار، والضبّ والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أولًا فاذبحه بسكين اليأْس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص"[40].

ثالثاً – الصبر على الطاعة

الصبر على الطاعة من أفضل أعمال البرِّ، وهو وسيلة أساسية لحفظ الإيمان واستمراره، وقد اهتمَّ القرآن الكريم بالصبر، فقد ذُكِر كثيراً في موطن المدح والثناء والأمر به، وهو أنواع.

---

(39) أخرجه عبد الله بن المبارك، **الزهد والرقائق**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت -، ص: 223، وابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر – بيروت -، طبعة 1995م: 357/44.

(40) ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، ص: 149.

تعريف الصبر في اللغة والاصطلاح

الصَّبْرُ لغة: حَبْسُ النفس عن الجَزع، يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر أي: حَبَسْتُها، وصبرتُ الدابة: حَبَسْتُها بلا علفٍ، وصَبْرتُ فلاناً خَلَفْتُهُ خِلفةً لا خروج له منها[41].

واصطلاحاً: قال الراغب: "والصَّبْرُ: حبس النفس على ما يقتضيه العقلُ والشرعُ أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصَّبر لفظٌ عام وربَّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبةٍ سمِّي صبراً لا غير ويضادُّه الجَزَعُ، وإن كان في محاربةٍ سمِّي شجاعةً ويضادُّه الجُبن، وإن كان في نائبةٍ مضجرةٍ سمِّي رحب الصدر ويضاده الضَّجَر، وإن كان في إمساك الكلام سمِّيَ كتماناً ويضاده المَذلُ"[42].

وقال الغزالي[43]: "الصَّبر: خاصية الإنس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة، أما في البهائم فلنقصانها، وأما في الملائكة فلكمالها، وبيانه أنَّ البهائم سلّطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلاّ الشهوة، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وترددها عن مقتضاها

---

(41) ينظر: الجوهري، **الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، (مادة صبر): 706/2، وابن فارس، **مقاييس اللغة**، (مادة صبر): 329/3، والأزهري، **تهذيب اللغة**، (مادة صبر): 121/12-122، والراغب، **المفردات في غريب القرآن**: (مادة صبر)، ص: 474، وابن منظور، **لسان العرب**: (مادة صبر): 438/4.

(42) الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، ص: 474.

(43) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الطوسي الغزالي، الفقيه الشافعي، أحد الأعلام، يلقب باسم الغزالي؛ لأنه تمرس بعلوم الفقه، وأصول الدِّين، والفلسفة والتصوف، له عدة مؤلفات، منها: (الوسيط) و (إحياء علوم الدين) و (تهافت الفلاسفة)، وغيرهم، توفي سنة (505هـ). ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: 353/3-355، والذهبي، **العبر في خبر من غبر**: 387/2، والصفدي، **الوافي بالوفيات**: 211/1-213، وابن كثير، **البداية والنهاية**: 188/12-189.

حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً، وأمّا الملائكة عليهم السلام؛ فإنهم جرَّدوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف"[44].

وقال ابن قيم الجوزية: "الصَّبر: حَبس النفس عن الجزع والتسخط، وحَبسُ اللسان عن الشكوى، وحَبسُ الجوارح عن التشويش"[45].

وقال المناوي: "الصَّبر: قوة مقاومة الأهوال والآلام الحِسِّيَّة والعقلية"[46].

والذي يبدو لي من التعريفات السابقة أنَّ الصَّبر: هو حبسُ النفس عن الجزع واللسان عن الشكوى، والجوارح عما حرم الله تعالى، والثبات على الدِّين، والرضا بقضاء الله تعالى، وذلك لا يكون إلاّ بالاستعانة على الله تعالى.

رابعاً – اختيار الصحبة الصالحة، والابتعاد عن رفقاء السوء

من وسائل الحفاظ على الإيمان اختيار الصحبة الصالحة، والابتعاد عن رفقاء وأصحاب السوء؛ لأنَّ في اتباعهم الخسارة في الدنيا والآخرة، وفي الابتعاد عنهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

اختيار الصحبة الصالحة

---

(44) الغزالي، **إحياء علوم الدين**: 85/4.
(45) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: 555/1.
(46) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص: 212.

الصحبة معناها من حيث الاشتقاق الكبير، قد قال ابن فارس: "الصّاد والحاءُ والباءُ: أصلٌ واحد يدلُّ على مقارنةِ شيءٍ ومقاربتهِ، من ذلك: (الصّاحبُ)، والجمع: (الصَّحبُ)"[47].

وأما من حيث المعنى الخاص؛ فهي: المعاشرة والملازمة، وقد قيدها بعض أهل اللغة بالرؤية والمجالسة[48]، ولذا قد جاء في تعريف (الصحابي) عند المحدثين: هو من لقي النبيَّ ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام؛ سواء أطالت صحبته أم قصرت[49].إلاّ أنَّ الصّحبة قد تطلق دون هذا القيد، وإنما يراد بها ملازمة الشيء بالبدن أو بغيره؛ كالصحبة مع الله، وكذلك لا تقيد الصحبة بمعاشرة البشر للبشر فقط؛ إنما قد تصرف إلى معاشرة البشر لغيرهم من الكائنات والموجودات[50].

ولا يشترط لها القصد؛ فقد تكون بإكراه ومن غير نية؛ كمصاحبة أهل النار للنار، قال تعالى: **وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (39)** [51].

قال أهل التفسير: والصحبة هي: الاقتران بالشيء في حالة ما، في زمن ما، فإن كانت الملازمة والخلطة فهي كمال الصُّحبة، وهكذا هي صحبة أهل النار لها[52].

---

[47] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (صحب): 335/3.
[48] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صحب): 521/1.
[49] ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت -، ط1، 1415هـ: 130/1.
[50] ينظر: خنفر، حازم، **غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة**، دار الصديق، ط1، 2009م، ص: 14.
[51] سورة البقرة، الآية: 39.
[52] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: 115/1، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**: 330/1، وابن حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت -، طبعة 1420هـ: 276/1.

وقد جمع هذا الأصل وأجمله الفراهيدي[53] بقوله: "وكلُّ شيءٍ لاءمَ شيئاً فقد استَصحبهُ"[54].

وضبط ذلك كله الراغب الأصفهاني فقال: "الصاحب: الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة ... ولا يقال في العرف إلاّ لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك للشيء: (هو صاحبه)، وكذلك لمن يملك التصرف فيه"[55].

اختيار الصحبة الصالحة وفضلها: الصحبة الصالحة لها أثرٌ عظيمٌ في سلوك الإنسان المؤمن، وذلك أنَّ الله تعالى جعلها سبباً من أسباب الهداية؛ فإذا أراد بالعبد خيراً قيض له صحبةً من الأخيار، وهيّأ له من الإخوان من يعينه على صلاح نفسه، فلا يلبث أن يبلغ قدرهم أو يبرز عليهم.

قال ابن المقفع[56]: "وعلى العاقل أن لا يُخادِنَ[57] ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع إلاّ ذا فضل في العلم والدين والأخلاق فيأخذ عنه، أو موافقاً له على إصلاح ذلك، فيؤيد ما عنده وإن

---

[53] هو: الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي، كان عالماً لغوياً ذكياً شـــاعراً، وهو أول من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، صاحب كتاب (العين)، توفي سنة (ت170هـ). ينظر: أبوبكر، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2: 15/47-16، والفيروز آبادي، **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، ص: 133، والســيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: 557/1.

[54] الفراهيدي، **العين**، مادة (صحب): 124/3.

[55] الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، ص: 475.

[56] هو: عبد الله بن المقفع، أحد البلغاء والفصـحاء، وكاتب مشـهور بالبلاغة، له عدة مؤلفات، منها: (الأدب الصـغير)، و (كليلة ودمنة)، وغيرهما، توفي سـنة (142هـــ). ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: 151/2، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**: 208/6-209.

[57] الخِدْنُ والْخَدِين: الصّـــاحب والصّـــديق، والجمع: أَخْدَانٌ وخُدَنَاءُ، يقالُ: خادَنْتُ الرَّجُلَ مُخادنَةً، وخادنتُ الرَّجلَ: صادقْتهُ. ورجل خُدَنَةٌ: كثير الأخدان. ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (خدن): 163/2، وابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خدن): 139/13.

لم يكن عليه فضل، فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمي إلاّ بالموافقين والمؤيدين، وليس لذي الفضل قريب ولا حميم أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته، ولذلك زعم بعض الأولين أنَّ صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع الجهال"[58].

وقال الماوردي[59]: "فإذا كاثرهم المجالس وطاولهم المؤانس أحب أن يقتدي بهم في أفعالهم ويتأسى بهم في أعمالهم، ولا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم، فتبعثه المنافسة على مساواتهم، وربما دعته الحمية إلى الزيادة عليهم والمكاثرة لهم، فيصيروا سبباً لسعادته، وباعثاً على استزادته، والعرب تقول: (لولا الوِئامُ لهلكَ الأنامُ)؛ أي: لولا أنَّ الناس يرى بعضهم بعضاً فيقتدى بهم في الخير لهلكوا، ولذلك قال بعض البلغاء: (من خير الاختيار: صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار: مودة الأشرار)، وهذا صحيح؛ لأنَّ للمصاحبة تأثيرًا في اكتساب الأخلاق، فتصلح أخلاق المرء بمصاحبة أهل الصلاح، وتفسد بمصاحبة أهل الفساد"[60].

---

[58] ابن المقفع، عبد الله بن المقفع، **الأدب الصغير**، دار ابن القيم – الاسكندرية -، بدون طبعة وبدون تاريخ، ص: 29-30.

[59] هو: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، أبو الحسن بالماوردي، عالم جليل، ومفسر، له عدة مؤلفات، منها تفسيره: (النكت والعيون)، و (أدب الدنيا والدين)، و (الحاوي الكبير)، وغيرهم، توفي سنة (450هـ). ينظر: الشيرازي، إبراهيم بن علي، **طبقات الفقهاء**، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي – بيروت -، ط1، 1970م، ص: 131، وابن صلاح، عثمان بن عبد الرحمن، **طبقات الفقهاء الشافعية**، تحقيق: محيى الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت -، ط1، 1992م: 636/2.

[60] أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، طبعة 1986م، ص: 106.

ولهذا جاء النهي عن الهجران، والترهيب منه فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((والذي نَفْسُ محمدٍ بيدهِ ما تَوادَّ اثْنانِ، فَفُرِّقَ بَيْنَهُما إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُما))[61].

بيَّن النبيُّ ﷺ في هذا الحديث الشريف أنَّ التفريق عقوبةً لذلك الذنب[62]، ويقول النبيُّ ﷺ: ((لا يَحلُّ لرجلٍ أنْ يَهْجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ ليال؛ يلتقيان، فيعرضُ هذا ويعرضُ هذا، وخيرهما الذي يَبدأ بالسلام))[63].

واستثنى أهل العلم من هذا الهجران: أهل البدع والفسوق وغيرهم، قال النووي: "فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائماً، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائماً"[64].

وكذلك فإنَّ في صحبة أهل الخير السعادة والسلامة، وفي صحبة أهل الشر والفساد الأذى؛ ولهذا حثَّ القرآن الكريم والسنة النبوية على صحبة الأخيار، فمن ذلك قوله تعالى: **وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ**

---

(61) جزء من الحديث الذي أخرجه أحمد، **مسند أحمد**: 259/9، رقم الحديث (5357). والحديث حسن إسناده الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب البر والصلة: باب حق المسلم على المسلم: 184/8، رقم الحديث (13658).

(62) ينظر: المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: 437/5.

(63) أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، عن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه)، كتاب الأدب: باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ لا يحلُّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، ص: 1521، رقم الحديث (6077)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الهجر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي: 1192/2، رقم الحديث (2560).

(64) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: 106/13.

مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) [65]، وهذه الآية الكريمة فيها الأمر بصحبة الخيار ومجالستهم، سواء كانوا فقراء أو ضعفاء، فإنَّ في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى[66].

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما –، قال: قال رسول الله ﷺ: ((المَرءُ معَ منْ أحبَّ))[67].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما –، قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَيرُ الأصْحابِ عند اللهِ خيرهمْ لصاحبهِ، وخَيرُ الجيرانِ عند اللهِ خيرهمْ لِجارِهِ))[68].

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لا تُصاحِبْ إلاّ مُؤمناً، ولا يأكلْ طعامكَ إلاّ تَقيٌّ))[69].

---

[65] سورة الكهف، الآية: 28.
[66] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: 152/5.
[67] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب: باب علامة حبِّ الله عزَّ وجل، ص: 1541، رقم الحديث (6168)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البرّ والصلة والآداب: باب المرء مع من أحبَّ: 1219/2، رقم الحديث (2640).
[68] أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب البرّ والصلة: باب ما جاء في حقّ الجوار: 497/3، رقم الحديث (1944)، وقال: "حسن غريب". وأخرجه أحمد، **مسند أحمد**: 126/11، رقم الحديث (6566)، وصحّحه ابن خزيمة: أبوبكر محمد بن إسحاق، **صحيح ابن خزيمة**، باب حسن الصحابة في السفر، إذ خير الأصحاب خيرهم لصاحبه: 140/4، رقم الحديث (2539)، وابن حبان، **صحيح ابن حبان**، ذكر الإخبار عن خير الأصحاب وخير الجيران: 277/2، رقم الحديث (519).
[69] أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الأدب: باب من يؤمر أن يجالس: 203/7، رقم الحديث (4832)، والترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الزهد: باب ما جاء في صحبة المؤمن: 201/4، رقم الحديث (2395)، وقال: "هذا حديث حسن".

وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّما مَثلُ الجليسِ الصالحِ والجليس السُّوءِ، كَحاملِ المسكِ ونافخ الكيرِ، فَحاملُ المسكِ، إمّا أنْ يحذيكَ، وإمّا أنْ تَبتاعَ منهُ، وإمّا أنْ تجدَ منهُ ريحاً طيبة، ونافخُ الكيرِ، إمّا أنْ يُحرقَ ثيابك، وإمّا أنْ تجدَ ريحاً خَبيثة))[70].

إذاً يجب على الإنسان المؤمن أن يختار الصحبة الصالحة وعليه: فإنَّ لصحبة أهل الخير والعلم وأهل الخير والعلم، فإنَّ في صحبتهم نفعاً عظيماً وإن لم يبلغ مبلغهم، ومن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة.

الابتعاد عن رفقاء السوء: الابتعاد عن أصحاب ورفقاء السوء نجاة في الدنيا والآخرة، **قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿67﴾﴾**[71]، قال ابن كثير: "أي: كلُّ صداقة وصحابة لغير الله فإنَّها تنقلب يوم القيامة عداوة إلاّ ما كان لله عزَّ وجل، فإنه دائم بدوامه"[72].

قال رسول الله ﷺ: ((ما تحابَّ اثنانِ في الله إلاّ كانَ أفضلهما عند اللهِ أشدُّهما حُبّاً لصاحبه))[73].

---

[70] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب البيوع: باب في العطار وبيع المسك، ص: 506، رقم الحديث (2101)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البرّ والصلة والآداب: باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء: 1215/2، رقم الحديث (2628).

[71] سورة الزخرف، الآية: 67.

[72] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**: 158/7.

[73] أخرجه البخاري، **الأدب المفرد**، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: باب إذا أحب الرجل أخاه فليعلمه، ص: 191، رقم الحديث (544)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**: 286/4، رقم الحديث (7402)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصحح إسناده الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، كتاب الزهد: باب أي المتحابين أفضل وأحب إلى الله: 276/10، رقم الحديث (17994).

ISSN: 2709-5312

وقال ﷺ: ((الرَّجُلُ على دينِ خلِيلِه فَلْيَنْظُر أَحَدُكُم مَن يُخالِل))[74]. قال المناوي في شرح هذا الحديث: "خَلِيلِهِ أي: صاحبه، فلينظر أحدكم من يخالل، أي: فليتأمل أحدكم بعين بصيرته إلى امرئ يريد صداقته فمن رضي دينه وخلقه صادقه وإلاّ تجنبه"[75].

إذاً لا شكَّ أنَّ في مصاحبة أصدقاء السوء خسارة كبيرة وخطر عظيم وبلاء مبين يعرض المرء للمفاسد والمخاطر المختلفة في الدنيا والآخرة، ويكفي أنَّ النبي ﷺ حذرنا من جليس السوء بقوله: ((إنَّما مَثلُ الجليسِ الصالحِ والجليس السُّوء، كَحاملِ المسكِ ونافخ الكيرِ، فَحاملُ المسكِ، إمّا أنْ يحذيكَ، وإمّا أنْ تَبتاعَ منهُ، وإمّا أنْ تجدَ منهُ ريحاً طيبة، ونافخُ الكيرِ، إمّا أنْ يُحرقَ ثيابك، وإمّا أنْ تجدَ ريحاً خَبيثة))[76].

اتضح مما سبق: اختيار الرَّفيق الصالح للصُحبة، والحذر والابتعاد من رفقاء السُّوء، لأنَّ في اتباع الصحبة الصالحة الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وفي اتباع رفقاء السوء الخسارة في الدارين.

---

[74] أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، كتاب الأدب: باب من يؤمر أن يجالس: 204/7، رقم الحديث (4833)، والترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب الزهد: 187/4، رقم الحديث (2378)، وحسنه، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب البر والصلة: 285/4، رقم الحديث (7398، 7399). وذكر ابن الجوزي في **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**: 237/2، رقم الحديث (1206، 1207) أنَّ هذا الحديث موضوع لا يصح عن رسول الله ﷺ، لكن تساهل في ذلك كما قال الزركشي: وأخطأ ابن الجوزي فذكره في الموضوعات، والقول ما قاله الترمذي، يعني أنَّ الحديث حسن. ينظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، **اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت -، ط1، 1986م، الحديث السابع عشر، ص: 89.

[75] المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: 52/4.

[76] سبق تخريج الحديث في الصفحة السابقة.

- **الخاتمة:**

أولاً: يجب الحفاظ على الإيمان، وهناك عدة وسائل للحفاظ على الإيمان، منها: (الاستقامة على دين الله تعالى، وعدم اليأس من رحمة الله، والصبر على طاعة الله تعالى، واختيار الصحبة الصالحة، والابتعاد عن رفقاء السوء، وعدم الأمن من مكر الله.

ثانياً: الاستقامة تعني الاستقامة على دين الإسلام وعدم الانحراف عنه، والتمسك على طاعة الله والرسولﷺ.

ثالثاً: المقصود بالصَّبر: هو حبسُ النفس عن الجزع واللسان عن الشكوى، والجوارح عما حرم الله تعالى، والثبات على الدِّين، وذلك لا يكون إلاّ بالاستعانة على الله تعالى.

رابعًا: طلب العلم يحتاج إلى الصبر؛ لذا لا سبيل إلى طلب العلم إلاّ بالصَّبر، فالصَّبر يضيء لطالب العلم طريقه النافع.

خامساً: الصحبة الصالحة والابتعاد عن رفقاء السوء، لها أثرٌ بارز في سلوك الإنسان المؤمن وتهذيب أخلاقه.

ISSN: 2709-5312